

الصبر على الشهوات والشبهات

الحمد لله الغني الكريم المتفضل، خلقنا في أحسن تقويم فأجمل، وأرعى علينا ستره فأسبل، وعمَّنا بجوده وكرمه فأجزل، وأتمَّ علينا النعمة وأكمل، سبحانه وبحمده، يُمهلُ ولا يهمل، ولا يُسأل عما يفعل، وكل من عداه فيُسأل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا رب سواه، وأشهد أن نبينا محمد بن عبد الله، صاحب الخلق الأمثل، والنعمة الأجمل، والمنهج الأكمل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد. في بداية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة واجه عنتا ومشقة من كفار قريش، وقد واجهها أصحابه رضوان الله عليهم فسامهم الكفار وآذوهم في الله أشد الإيذاء، ولكنهم صمدوا صمود الجبال الراسيات لقوة الإيمان وشدة اليقين في قلوبهم، فلم تنزله تلك الزوابع مهما كان حجمها، فإنه إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

وإليكم يا عباد الله بعض ما واجهوه من أذى في الله من صنائد مكة ولا سيما الضعفاء منهم، فقد قامت كل قبيلة تعذب من دان منها بالإسلام أنواعا من التعذيب، ومن لم يكن له قبيلة أجرت عليهم

الأوباش والسادات ألوانا من الاضطهاد، ويفزع من ذكرها قلب الحليم. فقد كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أُنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به. وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته. **ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاجته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشا، فتخشف جلده تخشف الحية.** وكان بلال بن رباح مولى أمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يضع في عنقه حبلا، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به في جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، وكان أمية يشده شدا ثم يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجها إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول: - وهو في ذلك - أحد، أحد، حتى مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون ذلك به فاشتره بسبع أواق من الفضة وأعتقه. وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون - وعلى رأسهم أبو جهل - يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بجرها. ومر بهم النبي صلى الله

عليه وسلم وهم يعذبون فقال: **صبرا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة.** رواه الحاكم. فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية- أم عمار- في فرجها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى. وقالوا: لا نترك حتى تسب محمدا، أو تقول: في اللات والعزى خيرا، فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء باكيا معذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

وكان أبو فكيهة مولى بني عبد الدار، فكانوا يشدون برجله الحبل، ثم يجرونه على الأرض. وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبا، ويلوون عنقه تلوية عنيفة وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرا؛ حتى لا يستطيع أن يقوم.

وكانت زنيرة والنهدية وابنتها وأم عبيس إماء أسلمن، وكان المشركون يسومونهن من العذاب أمثال ما ذكرنا. وأسلمت جارية لبني مؤمل- وهم حي من بني عدي- فكان عمر بن الخطاب- وهو يومئذ- مشرك- يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني لم أترك إلا ملالة وابتاع أبو بكر

هذه الجواري فأعتقهن، كما أعتق بلالا وعامر بن فهيرة وكان المشركون يلقون بعض الصحابة في إهاب الإبل والبقر، ثم يلقونه في حر الرمضاء، ويلبسون بعضا آخر درعا من الحديد ثم يلقونه على صخرة ملتعبة وقائمة المعذبين في الله طويلة ومؤلمة جدا، فما من أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وآذوه.

عباد الله: وبعد ما عرفنا عن أحوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف ثبتوا على إيمانهم مع ما واجهوه، فدعونا نتقل إلى الحديث عن حالنا وأوضاعنا، فنحن نعيش في بلد مؤمن آمن ومجتمع يجل الدين ويعظم المتمسكين به، ونؤدي شعائر الله ونعيش مع عبادتنا بكل حرية وأريحية؛ بل بتعظيم لشعائر الله وبتشجيع على الطاعات، فاللهم لك الحمد والمنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولكن هل إيماننا وصل بنا إلى درجة يجعلنا نثبت أمام بعض الشبهات والشهوات والمغريات، أما هم فإيمانهم ثبتهم أمام عواصف الفتن والبلايا حتى صنعوا التاريخ، ولكن هل إيماننا ردعنا أمام جوائتنا وما فيها من الشهوات والشبهات، هل إيماننا غرس فينا مواجهة الشهوات التي تتخطف الناس في كل مكان وأمام الشبهات التي تزعزع دينهم كل يوم، نحن لم نواجه التعذيب والصد والنهي لأجل ديننا إنما واجهنا

شبهات وشهوات يسيرة، ومع ذلك لم يثبت الكثير فكم قوة هذا الإيمان، وكم مقداره في قلوبنا.

أيها الأحبة: لنراجع إيماننا في قلوبنا ولنعد النظر في صبرنا على ديننا على القليل من الشبهات والشهوات.

كيف أنت أمام تلك الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب، وهذا هو الميل العظيم الذي حذر الله عباده منه وهو يحذرهم ما يريده الذين يتبعون الشهوات، ومن يطلقون الغرائز من عقالها بالكلمة والصورة والقصة والفيلم وبسائر أدوات التوجيه والإعلام؟

يا عبد الله هل دينك يواجه تلك المواقع ووسائل الإعلام، ويصرفك عن الوقوع في الوحل أم أنه من شدة ضعفه جعل البعيد ينجر وراء هذه الأمراض، ويطلق تلك الغرائز عياذا بالله.

** ** *

الخطبة الثانية

إن المؤمن صابر على دينه، وهو كالقابض على الجمر، وهو خائف يكبح جماح الشهوة وينهى النفس عن الهوى، يقاوم ضعفه الفطري وشهوته الطبيعية، ويجاهد نفسه الأمانة بالسوء؛ الشيطان يعده ويمنيه

ويسول له ويزين، ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا به ميلاً عظيماً﴾.

فكيف يسلم؟! كيف يسلم من له عدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، وهوى مرد، وشهوة غالبة، وشيطان مزين، وضعف مستولٍ عليه؛ فإن تولاه الله نجا وسلم، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه هذه القوى فكانت الهلكة.

إن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله تعالى بقدر تعلقها بها، وإن الرجل من إذا خلى بما يجب من المحرم وقدر عليه واشتد عطشه إليه تذكر نظر الحق عز وجل، فاستحيا من إجماله همهم فيما يكرهه ربه فذهب العطش: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وإذا خلوت بريئة فاستحي من نظر الحي القيوم، واعلم أن من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة، وإن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، ورب سهم أصاب مقتلاً، ومعظم

المصائب مبدأها من النظر، ومن أطلق نظراته دامت حسراته، ومتى
غض العبد بصره غض القلب شهوته، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله
خيراً منه. وكلما قوي الداعي إلى الشهوة قويت مجاهدة النفس على
الصبر، فزاد أجر العبد عند الله، إن الذي تشتت في نفسه المعاصي
ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة
وأجر عظيم.

عباد الله: وقد انتشر في المجتمع وعبر القنوات المفتوحة من تطبيقات
ومواقع تنشر الشبهات وتزين الشرك، وتحمل الباطل وتحارب الدين
مستخدمة أسلوباً مغرياً وجذاباً، فالحذر ثم الحذر مما تسمعون، فلعل
شبهة تدخل قلب البعيد فيطمئن لها فيهوي بها في النار سبعين خريفاً
عافانا الله وإياكم.

قد تجد في هذه المواقع رجلاً يشكك في الله وفي وجوده وهذا إلحاد،
وآخر يثير شبهة حول الملائكة والجن والكتب والرسول والآخرة والقدر،
هناك شبهات حول أحكام الشريعة والعبادات والمعاملات ونحوها،
وهناك من يشكك في صحة القرآن الكريم والسنة النبوية، وهناك من
يثير الشبهات حول كتب كصحيح البخاري وغيره، وهناك شبهة في
تصحيح بعض ملل النفاق والكفر وجعلها مع الحق على السواء،
وفيكم سماعون لهم.

فاتقوا الله ولا ترخوا آذانكم لسمع هذه الشبهات حول دينكم،
واعلموا ممن تأخذون دينكم، واعظمو شعائر الله، واحذروا ممن
يصطادون السذج ويضحكون عليهم بدعوى الثقف والتحرر
والتحضر، وتمسكوا بدينكم ولو أن تعض على أصل شجرة.